

الكاتب: نورالدين احميان

عنوان المقال:

باحث في سلك الدكتوراه، كلية الآداب

سلوان وقلعتها خلال بداية القرن 20م

سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله –

المغرب

البريد الإلكتروني : ahmiane@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/04/17 تاريخ القبول: 2020/05/22 تاريخ النشر: 2020/06/30

سلوان وقلعتها خلال بداية القرن 20م

ملخص:

تمتعت قلعة سلوان خلال بداية القرن العشرين بأهمية بالغة، ويرجع سبب ذلك إلى اندلاع تمرد بوحمارة الذي اتخذها عاصمة له بعد انتقاله إلى القسم الشرقي من البلاد، وهو ما جعلها تبرز على ساحة الأحداث، إلى أن تمكنت مقاومة قبائل قلعية من السيطرة عليها بعد القضاء على الثائر بوحمارة. إلا أن خضوع المنطقة تحت الاستعمار الإسباني جعلها تعرف عدد من التطورات الأخرى بعد أن جعلها الجيش الإسباني مطارا لانطلاق طائرات قصف المقاومة الريفية بعد فرض الحماية الإسبانية على المنطقة.

الكلمات المفتاحية: القلعة، سلوان، المقاومة، ثورة، بوحمارة، المخزن العيزي، قبائل قلعية.

Abstract

At the beginning of the twentieth century, the fortress of Silwan was of great importance. This was due to the outbreak of the rebellion in Buhmara, which took its capital after its transfer to the eastern part of the country, which made it stand out on the scene until it was able to resist Qalaia tribes to control it after the elimination of the revolution in Buhmara, However, the subjugation of the region under the Spanish colonialism made it known a number of other developments after the Spanish army made it an airport for the launch of aircraft bombing the rural resistance.

Keywords: Castle, Silwan, resistance, revolution, Buhmara, store, Qala'ia tribes.

مقدمة:

لعبت قلعة سلوان⁽¹⁾ أدوارا متعددة منذ تأسيسها من قبل المولى اسماعيل في سنة 1678، على الرغم من أنها غابت عن الأحداث خلال القرن 18م بل وحتى 19م، إلا أنها ستطفو على ساحة الأحداث الوطنية بل والدولية بشكل كبير خلال مطلع القرن 20م، وتصبح محط إزعاج للمخزن المغربي بسبب استغلالها من قبل القوى المعارضة له كالثائر بوحمارة ثم الإسبان من بعد ذلك، وتوظيفها من قبلهم في توسعاتهم بمنطقة الريف، فكان لها حضور قوي في ظل هذه الأحداث والتطورات التي عرفتها المنطقة.

أولا: سلوان خلال مرحلة تمرد بوحمارة.

خلال أواخر القرن التاسع عشر دخل المغرب ومعه منطقة الريف مرحلة جديدة تميزت بالصراعات والأزمات، وذلك راجع إلى تزايد الأطماع الأجنبية في المغرب، إضافة إلى تدهور أوضاعه الاقتصادية، فترتب عن ذلك ظهور اضطرابات عدة في مختلف ربوع البلاد، وبعد وفاة السلطان المولى الحسن الأول في سنة 1894م، وخلفه ابنه المولى عبد العزيز الذي لا يزال صغير السن، فاستغل هذا الأمر الجليلي الزرهوني⁽²⁾ وادعى انه الابن الأكبر للمولى الحسن الأول، وبأنه هو الأول بالخلافة بدلا من أخوه عبد العزيز، وأشاع بأن أخاه انغمس في الملذات، وفتح باب المغرب للأجانب...⁽³⁾، وتمكن من اقناع عدد كبير من قبائل المغرب بهذه الأمور واستمالها إليه "فصار يجول في تلك القبائل ومن بينها الحيانية، غيائة، التسول، البرانض، صنهاجة، اكوناية، بنويزناسن، امطالسة، وغيرها، إلى أن وصل إلى قبائل قلعية الواقعة على حدود مملية التي تحت الاحتلال الإسباني"⁽⁴⁾، واستقبلته هذه القبائل بحفاوة وقدموا له العديد من الهدايا والخيول تعبيرا عن دخولهم تحت سلطته، ثم اتخذ بعد ذلك قلعة سلوان عاصمة له دون أي مقاومة تذكر.

هكذا أصبحت العديد من قبائل الريف الشرقي والأوسط تحت نفوذ بوحمارة وخرجت عن نفوذ المولى عبد العزيز، ومن المنطقي أن تكون وراء ذلك عدة أسباب جعلت قبائل الريف تقبل على هذا الأمر، خاصة ما يتعلق بالحالة التي كانت تعيشها المنطقة اجتماعيا واقتصاديا، وقد وصف العربي اللوه حالة الريف بقوله "الجهة الثانية الشمال المغربي، ويشمل القبائل التي تمتد على ساحل البحر الأبيض من كبدانة شرقا إلى طنجة والعرائش غربا، وقبائل الشمال عموما كانت في هذا العصر، تعاني من قسوة الأمراض الاجتماعية التي انبثقت

بينها ما لا يخطر بالبال، بالتلصص والنهب والسرقة والاختطاف والتقاتل وغير ذلك من أنواع الشرور والجرائم، وهي التي كانت متفشية في الشمال"⁽⁵⁾، بلا شك أن هذه الأوضاع المتسمة بعدم الاستقرار والفقر وغياب الأمن،... إضافة إلى الشعار الذي رفعه بوحمارة في البداية، وهو القيام بالجهاد ضد التوغل الأجنبي في مختلف ربوع المغرب ومنها منطقة الريف⁽⁶⁾، هذه العوامل المختلفة مجتمعة دفعت هذه القبائل إلى التنصل من بيعة المولى عبد العزيز، والدخول تحت نفوذ الفتان بوحمارة. "فقد وجد فيهم قابلية لسماع ما يدعوا إليه من القيام على المخزن ومبايعته"⁽⁷⁾

لقيت حركة بوحمارة دعما من قبل القوى ذات الأطماع الإمبريالية في المغرب لإضعاف سلطة المخزن، كما استغلت هذا التمرد من اجل زيادة التسرب في البلاد والاستفادة منه تجاريا وماليا، من خلال ضمان بيع الأسلحة للجيش العيزي حتى يتمكن من مواجهة هذا التمرد، إضافة إلى أن هذه الثورة ستجعل الدولة في حاجة أكثر إلى الموارد المالية لتمويل الجيش، مما سيفرض عليها التوجه إلى الاقتراض من الخارج. بالإضافة إلى هذا الأمر فقد "ضمن الأوروبيون بتكوين الزرهوني لسلطنته بالريف رقعة جديدة من التراب المغربي تسمح لهم بالتحرك في جميع اتجاهات المنطقة الريفية. لقد أصبح الريف في عهد الزرهوني قبلة للأجانب الذين حجوا إليه"⁽⁸⁾. هكذا أصبح الأوروبيون وخاصة الإسبان والفرنسيين يتحركون بكل حرية في منطقة الريف، واستغلت هاتين الدولتين الإمبرياليتين وجودهما العسكري وقامتا بإنشاء بعض المشاريع في المغرب مثل: السكك، الطرق، الموانئ، التلغراف،... خاصة وأن مقررات الجزيرة الخضراء كانت قد أطلقت يد فرنسا وإسبانيا في المغرب.

تمكن بوحمارة بعد استمالة عدد كبير من قبائل الريف أن يجعل المنطقة تعيش نوعا من الإستقرار مقارنة مع بعض المناطق الأخرى، إذ "أصبحت الطريق إلى سلوان (عاصمة الزرهوني) هي الطريق الأمنة في كل المغرب"⁽⁹⁾، ويمكننا أن نتصور إمكانية انتشار هذا الأمن في مختلف المناطق التي كانت خاضعة للعاصمة سلوان، ويعتقد بأن اتخاذه (بوحمارة) لسلوان عاصمة له يمثل بداية انهيار حركته، لعدم قدرته على القيام بالجهاد ضد الأوروبيين (الإسبان والفرنسيين)⁽¹⁰⁾، وشعار الجهاد الذي كان قد رفعه يعتبر من بين أهم الأسباب التي جعلت قبائل الريف تلتف حوله.

اصطدم الجيش الحكومي بجيش الزرهوني في وجدة" فقتل [جيش الروكي] من الف وخمسمائة جندي، وقطع من الرؤوس ما حمل على أربعين بغلة وأسير منه خمسمائة أسير. ثم إن أبا حمارة أرسل الأسرى والرؤوس مع ثلاثين فارسا من جيشه إلى عاصمته الشرقية: سلوان لتعلق تلك الرؤوس في الجمرک الذي في حدود مليلة والمغرب"⁽¹¹⁾، هكذا أصبحت سلوان خلال هذه المرحلة قاعدة لجيوش الزرهوني، فمنها كانت تنطلق الجيوش في حملاتها، كما أنها إليها تعود أثناء حملاتها العسكرية، كما نستنتج أنها مثلت كذلك مخزنا لغنائم المعارك التي كان ينتصر فيها باستمرار على الجيش الحكومي الضعيف والمتفكك والمفتقد للكفاءة العسكرية. وقد كان لجيش الروكي نفس اسلوب الجيش المركزي (العيزي) ونفس التراتبية للمحلات العسكرية التي تشكلت في بداية الامر من 1500 جندي من المشاة، و1200 من الفرسان مجهزين بـ 45 قطعة من المدفعية⁽¹²⁾

تمكن الجيش الحكومي بعد عدة معارك من تجاوز نهر ملوية في اتجاه الريف وبالضبط في اتجاه سلوان، واستطاع التغلب على جيش بوحمارة، مما جعل هذا الأخير يطلق نداء الإستغاثة من القبائل التي كانت تحت طاعته⁽¹³⁾، فوفدت عليه بسلوان أعداد كبيرة بلغت ثلاثين ألفا من الجنود⁽¹⁴⁾، فغدت سلوان مركز قوات بوحمارة وقاعدة لانطلاقها. من خلال تتبع ثورة بوحمارة في إطار صراعها مع المخزن الشرعي يمكننا أن نقسمها إلى ثلاث مراحل أساسية:

- المرحلة الأولى: تمتد ما بين 1902-1904 حقق خلالها بوحمارة انتصارات عدة.
- المرحلة الثانية: ما بين 1905-1908 مرحلة تميزت بتكبد بوحمارة للعديد من الهزائم فحاول فيها استعادة توازنه، واتخذ سلوان عاصمة له.
- المرحلة الثالثة: ما بين 1908-1909 تخلى فيها بوحمارة عن أهم دعائم ثورته وهي المتمثلة في فكرة الجهاد، والتعاون مع الأجانب خاصة الإسبان، مما جعل قبائل الريف تنقلب عليه.

بتخلي بوحمارة عن فكرة الجهاد التي كانت من أهم عوامل انضمام قبائل الريف إلى حركته، وتعاونه مع الإسبان من خلال بيعه حق استغلال حديد أكسان للإسبان مما جعل الريفيون ينقلبون عليه، خاصة بعد الإنهزام أمام قبيلة بني ورياغل في شتنبر 1908م. لكن

المنير أن رجال قبيلة بني ورياغل لم "يعبروا نهر النكور، بعدما هزموا جيش أبي حمارة ولم يطارده خوفًا من مكائد تحاك لهم في الخفاء، لذلك لم يشاركوا في الزحف على سلوان مقر أبي حمارة، مع من زحف من القبائل المذكورة مع الشريف"⁽¹⁵⁾. ومن هذه القبائل التي التفت حول الشريف محمد أمزيان لمحاربة بوحمارة نجد: تمسمان بني توزين، تفرسيات، بني اولشيك، بني سعيد، امطالصة، بني سيدال، مزوجة، بني شيكار، بني بوغافر. ويمكننا ملاحظة أن بعض القبائل التي كانت في صف بوحمارة قد انقلبت عليه وانضمت إلى جيش الشريف أمزيان، الذي وفدت عليه أيضا بعض القبائل الأخرى التي لم تكن خاضعة للفتان. وفي الجهة المقابلة نجد بعض القبائل الأخرى التي كانت خاضعة لبوحمارة قد ظلت معه مثل قائد بني بويفرور ومعه فرقة من قبيلته ظلت تحارب بجانب هذا الأخير، وكانت قلعة سلوان تقع ضمن المجال الترابي لهذه لقبيلة.

كانت العادة أن يتم جمع القبائل بواسطة إشعال النار ليلا فوق قمم الجبال، فإذا رأت القبيلة نارا فوق قمم الجبال في القبيلة المجاورة تعلم أنذاك بوجود خطر يهددها، وأنها تستصرخها لتقديم الدعم والمساندة ضد هذا الخطر⁽¹⁶⁾.

بعد اكتمال اجتماع رجال الريف والتفافهم حول الشريف محمد أمزيان، أصبحت سلوان مقصد هؤلاء الرجال، فبعد ما كانت فيما سبق مركز انطلاق الجيوش لمهاجمة قبائل الريف والجيش الحكومي، أصبحت الآن مقصد الجيوش أهل الريف اللذين "أحاطوا بقلعة سلوان غربا وشمالا وجنوبا، وكانت الحروب تدور رحاها بين نواحي تنيمرت[تاويمة حاليا] إلى بوسخان، تخرج غالبا فرق من فرسان أبي حمارة فتتلقاها فرق من أهل الريف فتشتد الحرب بين الفريقين"⁽¹⁷⁾، أحيطت القلعة من هذه الجوانب ثلاث إضافة إلى أن الجانب الشرقي يحط به نهر سلوان مما سيجعلها تعيش نوعا من الحصار. وغير بعيد عن القلعة على بعد نحو ثلاث كيلومترات يوجد جبل بوغنجانين، كان رجال الشريف أمزيان يسيطرون على الجبل " فإذا كان بيدهم سلاح جيد تصل قذائفه إلى قلعة سلوان وأخبية الجيش المحيطة بها فيلحقون بجيش أبي حمارة خسائر فادحة في الأرواح والدواب ... ومن كان فوق ذلك الجبل يكون مسيطرا على قلعة سلوان إن كان بيده سلاح تصل قذائفه إليها"⁽¹⁸⁾. هكذا تمكن رجال الريف من حصار جيش أبي حمارة وشل حركته حتى داخلوا القلعة بواسطة القذائف التي كانوا يرسلونها انطلاقا من قمة الجبل المذكور.

بسبب هذا الحصار تمكن رجال الريف من هزم جيش بو حمارة الذي كان يقوده العبد الجليلي، وبسبب توالي هزائمه " لم يرى بوحمارة بدا من مغادرة قصبة سلوان، لما ضايقه رجال تلك القبائل وشدوا عليه الخناق والحصار من جميع الجهات، حذرا واحتياطاً من أن تنتشر الثورة عليه إلى القبائل التي تقع بين قصبة سلوان وتازة، والتي كانت لا تزال خاضعة له، حتى لا تسطو عليه تلك القبائل فتفتك به وتدوسه بالأقدام"⁽¹⁹⁾. بعدما استمرت سلوان عاصمة له ومركزاً لقيادته انتهت هذه المرحلة في أواخر 1908 بعد مغادرتها، فتوجه نحو تازة إثر فقدانه الأمل في إعادة السيطرة على قبائل الريف مرة ثانية.

بعد خروج بوحمارة من سلوان وتمكن المحاصرون منها تردداً أول الأمر في الدخول إليها خوفاً من أن يكون قد حاك لهم مكيدة (فخا) أو وضع ألغاماً داخلها. لكن فيما بعد دخلوا إليها وقاموا بتخريب بعض منشأتها، خاصة بناية كان قد بناها داخل القلعة وسماها مولاي إدريس⁽²⁰⁾، لذا يرجح أن يكونوا قد غيروا بعضها من معالمها نتيجة هذا التخريب.

إذا كان الدارس لقلعة سلوان خلال مرحلة الجليلي الزرهوني يركز على ما هو عسكري باعتبارها مركزاً لجيوشه، فإننا لا يمكن أن نهمل باقي الأدوار الأخرى التي اضطلعت بها، خاصة ما ارتبط بالجانب الاقتصادي والمالي. فمن أجل ضمان تمويل الجيش في معاركه سواء ضد الجيش الحكومي أو ضد القبائل فرض "المكوس على الأسواق"⁽²¹⁾، وبدون شك أن سلوان (العاصمة) كانت مركز جمع هذه الضرائب من مختلف مناطق "سلطنته"، ولتسهيل عملية جمع الضرائب والمعاملات النقدية فكر في إحداث بنك وعملة خاصة به، وقد منح حق إنشاء هذا البنك للأجانب (حصل على حق إنشاء البنك الفرنسي الفريد ماصيني)، وأن يقوم بإنشاء هذا البنك ودار السكة بالجوار من ديوانة مزوجة⁽²²⁾.

منذ 1905 سيبرز لنا دور جديد قامت به قلعة سلوان وهو استقبال الزرهوني للفرنسين بها في إطار التبرئ لإنشاء الوكالة المحمدية بمنطقة الريستينكا⁽²³⁾، وقد أنشئت هذه الوكالة في البداية " باعتبارها مؤسسة تجارية بحته، والتي تحولت إلى مركز للذخائر لقوات الزرهوني، لعبت نتيجة لذلك دوراً اقتصادياً بالغ الأهمية لفائدة سلطنة الزرهوني. كما أصبحت بمثابة العاصمة الاقتصادية له"⁽²⁴⁾، هكذا شكلت هذه العاصمة الاقتصادية نقطة لإنفتاح سلطنة الروكي على الخارج خاصة في ما يتعلق بمسألة التهريب، كما أننا نتصور بأنها كانت في اتصال مستمر مع العاصمة السياسية (سلوان)، التي كانت تصدر منها الأوامر

والقرارات. إلا أن أهداف بوحمارة لن تستمر في التحقق بفعل تدمير هذه الوكالة من قبل الجيش العريزي الذي أرسل الباخرة المسماة "التركي"، وتمكن مدفعيتها من تدمير الوكالة بشكل نهائي في 28 شتنبر 1909م، لكن بعد ذلك ستسيطر إسبانيا على المنطقة وتجعل منها معسكر لقواتها.

ثانيا: سلوان خلال مرحلة مقاومة الشريف محمد أمزيان

تمكن رجال قبائل الريف من استعادة سلوان بعد توحيد صفوفهم بقيادة الشريف محمد أمزيان ورفيقه في الكفاح عمر المطالسي، من يد الفتان بوحمارة في سنة 1908، إلا أن فرحتهم لم تدوم طويلا بعدما بدأت إسبانيا هي الأخرى تستهدف السيطرة على بعض مناطق الريف، فوجهت أنظارها نحو تراب قبيلة قلعية ومعها منطقة سلوان، وفي هذه الأثناء كانت قصبة هذه الأخيرة تلعب دور جد مهم، حيث استغلت من قبل حركة المقاومة كمرکز لتنظيم المقاومة ضد المشروع الاستعماري الرامي إلى التقدم في اتجاه قلعية، انطلاقا من معسكر الريستينكا ورأس الماء بسبب عجز الإسبان عن تجاوز أراضي مزوجة⁽²⁵⁾ لقوة المقاومة، مما جعل إسبانيا تتبع من أجل الوصول إلى مبتغاها "خطا حربيا دائري مجزأ إلى معقوفتين: يبدأ الجزأ الأول من المخطط باجتماع قوات مركز الريستينكا فكبدانة وأولاد ستوت، بالجنوب والجنوب الشرقي، رأسه متجه نحو قصبة سلوان من جهة الجنوب الشرقي، مروراً بقرية أربعاء أركمام"⁽²⁶⁾.

تفطنت حركة المقاومة لهذا المشروع الاستعماري، مما جعلها تستعد بقصبة سلوان لدفاع عنها ودفع الخطر الإسباني الذي يهددها، ومن أجل ذلك حشدت بالقصبة "فرقة من المشاة بلغ عددها 1500. ومن القصبة أشرفت على تنظيم مقاومة شمال قلعية من محرس عين برحال⁽²⁷⁾"⁽²⁸⁾، وهكذا أصبحت القلعة مركزا لتنظيم المقاومة في منطقة كبدانة، ومراقبة زحف قوات الاحتلال الإسباني في اتجاه سلوان انطلاقا من معسكر الريستينكا مروراً بأربعاء أركمام.

رغم هذا التنظيم والخطة الإستباقية للمقاومة لوقف القوات الإسبانية، إلا أن هذه الأخيرة تمكنت من التقدم نحو سلوان، ويرجع اهتمام الإسبان بها إلى موقعها المتميز الذي يمثل حلقة وصل بين بني بويفرور من جهة وأولاد ستوت من جهة ثانية، وكذلك الشأن بين سبخة بوعرك وبني بويحي، إضافة إلى عامل حصانة قلعة سلوان ورغبة الإسبان في استغلالها، وهذا ما

جعلهم يولون اهتمام بالغ الأهمية لإحتلالها، وتمكنوا من السيطرة عليها فعلا في 27 شتنبر 1909. وتم احتلالها "لأن الريفيين لم يقدرروا على طردهم منها رغم الحملات الجهادية التي قاموا بها تحت قيادة الشرف محمد أمزيان"⁽²⁹⁾. ومنذ هذا الوقت أصبحت سلوان خاضعة للإسبان، واتخذت قاعدة في توسعاتهم في اتجاه باقي المناطق الأخرى، مثل ثنيمرت (تاويمة حاليا) وبني بويفرور... وخاصة جبل أكسان الذي كان الهدف الأهم لقوات الإحتلال.

كنا قد تحدثنا سابقا عن أهمية تل بويغنجارين المجاور للقلعة، وأن المتحكم فيه سيجعل القلعة تحت سيطرته، كما كان الشأن عندما حاصرت القبائل بوحمارة بسلوان في أواخر 1908م، فتفتنت القوات الإسبانية لهذا الأمر لذلك "تسابق الغزاة إلى السيطرة على تل بويغنجارين"⁽³⁰⁾، حتى لا يستغله المجاهدون في قصف القلعة خاصة وأنه لا يبعد سوى مسافة ثلاث كيلومترات، فكانت القذائف التي ترسل منه تصل إلى غاية القلعة.

عملت حركة المقاومة في الفترة ما بين 1910-1912 على استعادة السيطرة على المناطق المحيطة بسلوان، سواء في اتجاه الناظور أو في اتجاه أزغنغان، وفي الطرف الثاني وجهت إسبانيا أنظارها اتجاه قبيلة بني بويجي، وفي 17 يناير 1912 انطلق الجيش الإسباني المكون من 20819 جندي، من سوق خميس بني بويفرور وقصبة سلوان وتمكنت من السيطرة على كدية عروات⁽³¹⁾، التي كانت إلى غاية هذا اليوم تحت سيطرة قبيلة بني بويجي.

ثالثا: سلوان خلال ثورة الريف الثانية

بعد استشهاد الشريف محمد أمزيان تمكنت إسبانيا من فرض سيطرتها على مناطق جديدة من الريف، ومن أجل تسهيل سيطرتها على مناطق الريف، ستقوم بإنشاء مطار بمحاذاة القصبة " احتضن بدءا من منتصف شهر ماي 1914 طائرات من طراز نيوبور ف.اي. ام (nieuport V.I.M) والتي حولت من مطار تطوان"⁽³²⁾، وأصبحت سلوان خلال هذه المرحلة قاعدة خلفية للجيش الإسباني، وكان دورها الأساسي بعد إنشاء المطار يكمن في قصف مواقع المجاهدون بإستعمال الطائرات انطلاقا من مطارها لإضعاف قبائل الريف، وكذلك حتى لا تخسر اعدادا كبيرة من جنودها في المواجهات المباشرة مع الريفيين. فعلى سبيل المثال تم "يوم السبت الثالث والعشرين [يوليوز 1921] وفي عملية جمعت كل الطائرات الموجودة بادر فرناند يثموليرو⁽³³⁾ بقصف ابن طيب"⁽³⁴⁾، هكذا حاولت إسبانيا إضعاف أبناء الريف.

ولحماية المطار من أي هجوم محتمل "خصصت إسبانيا ثلاث نواب وثلاثة وأربعون جنديا انضاف اليهم ثلاثون فارسا من فرقة الكانطرا علاوة على ثلاث من الضباط وهم: الملازم مارتينيث بيبانكوس Martinez vivancos، الملازم الثاني ماروتو Maroto ، ومارتينيث كانياداس Martinez cañadas"⁽³⁵⁾. وبالفعل فقد تعرض المطار عشية يوم قصب بن طيب لهجوم من قبل الريفيين للحد من القصف الجوي الذي تتعرض له مواقعهم، كما أنهم تقدموا في اتجاه الناظور ومليلية واستعادوا السيطرة على كوروكو (في 26 يوليوز) و فرضوا سيطرتهم على الناظور مرة ثانية، ثم على مطار سلوان بعد ذلك في 2 غشت مستغلين نقص الزاد والماء لدى الجنود الإسبان، وتمكنت المقاومة من وضع يدها على ما كان بالمطار، وخاصة الطائرات الخمس الموجودة به، أما القصبة فقد سيطروا عليها في اليوم الموالي - الثالث من غشت - بعد أن فقد الإسبان أكثر من 100 جندي.⁽³⁶⁾

أدت هذه الهزائم المتتالية للإسبان إلى موجة من التمردات في صفوف الشرطة الأهلية والمتعاونين مع الإسبان، وتحولوا إلى المشاركة مع المجاهدين في الدفاع عن وطنهم، بعد أن ولدت لديهم هذه الانتصارات الريفية نوع من الحماس في نفوسهم وقوت لديهم شعور الدفاع عن وطنهم ودينهم، وكان هؤلاء "الفارين من صفوف الجندية المنتمين للقوات النظامية المنحدرين من الجهة الشرقية كانوا كثيرا، لكن هروبهم هذا لم يكن من أجل العودة إلى دوايرهم، بل يهدف الانضمام إلى الحركة التي تحارب الإسبان"⁽³⁷⁾، والمقصود هنا بالحركة هو حركة المقاومة.

لم تكن سلوان في منأى عن هذه الأحداث التي ما فتئت تتزايد سواء في صفوف الشرطة الأهلية أو في الجنود النظاميين، فمن "بين سرايا الجنود النظاميين المتمركزين في سلوان، تمردت السرية الثالثة يوم 24 يوليوز[1921] وفرمنها حوالي مائة رجل بالخيول والسلاح"⁽³⁸⁾، وبهذا التمرد ستساهم سلوان في تقوية حركة المقاومة بالرجال وكذلك بالسلاح والخيول، فأصبحت إسبانيا تحارب "برجالها" وأسلحتها، ولم يكن هذا التمرد مقتصر على سلك الجندية فقط، بل انتقل حتى إلى صفوف رجال التربية والتعليم، حيث تمرد "فقيمين أحدهما ملحق بالمدرسة الأهلية بسلوان"⁽³⁹⁾.

وفي الجهة المقابلة أثارت هذه الهزائم سخطا كبيرا جدا لدى الإسبان، مما جعلهم يعيدون تنظيم صفوفهم بسرعة ويعملون على استعادة الأراضي والمواقع التي فقدوها، فتم استعادة

الناطور في 17 شتنبر، ثم تنيمرت في 23 من نفس الشهر، وكوروكو في 10 أكتوبر، ثم بعد ذلك سلوان في 1923. وبسبب استعادة الإسبان "السيطرة على سلوان عمت الفرحة بشكل كبير كل أرجاء إسبانيا. ولم تكن مليلية في منأى عن هذه البهجة التي عمت البلاد"⁽⁴⁰⁾، وفرحة الإسبان باستعادة سلوان دليل آخر على مدى أهميتها مقارنة مع باقي المواقع الأخرى بالنسبة للإسبان ومشروعهم الاستعماري في شمال المغرب.

وبالعودة إلى الطائرات التي استحوذ عليها الريفيون بمطار سلوان، والتي كان عددها أربع طائرات في حالة جيدة وطائرة واحدة لم تكن جاهزة للاستعمال، فقد قام الريفيون بإحراقها بسبب بقاءها بدون طيارين⁽⁴¹⁾، وأحرقوها حتى يحرموا الإسبان من إعادة استعمالها مرة أخرى ضدهم، ولا نعلم إن كانوا قد الحقوا أي ضرر بالمطار.

بدءاً من 1923 ستلجأ إسبانيا إلى أسلوب جديد في مواجهتها للريفيين بسبب عجزها عن تحقيق انتصارات مهمة أمامهم، ويتمثل هذا الأسلوب في اللجوء إلى استعمال الغازات السامة لتعويض هذا العجز ولإيقاف الريفيين، وكذلك لإخراج الجنود الإسبان من حالة اليأس التي أصابتهم بعد الانهزام في العديد من المواقع: جبل العروي، الكبداني، الناطور، أنوال، سلوان... على الرغم من أن الاتفاقيات والمواثيق الدولية تحرم استعمال هذه الغازات (مثل اتفاقية لاهاي الموقعة ما بين 1899-1907، ومعاهدة فرساي 1919 والتي وقعت عليها إسبانيا)، فمباشرة بعد الهزائم التي تلقاها الجيش الإسباني في 1921 بعد ملحمة أنوال، سيتم التفكير في استعمالها، إذ في "يوم الثاني عشر من غشت [1921] جرى اتصال تلغرافي أخريين كل من الوزير ايزا وبرنكر [المقيم العام]"⁽⁴²⁾ واتفق الطرفان على استعمال الغازات السامة، وإن لم تستعمل في حينها بل إلى غاية 1923.

وخلال "يوليوز 1926 كان المطار الوحيد المعتمد لتلك العمليات [القصف الجوي لمواقع المجاهدون] في منطقة سلوان"⁽⁴³⁾، فقد ساهمت سلوان بواسطة مطارها في قصف قبائل الريف خلال 1926، بل كان مطارها هو الوحيد المستعمل من الإسبان في ذلك الأمر بعد مطار مليلية.

رابعا: أهمية سلوان في المشروع الاستعماري الإسباني

احتلت سلوان مكانة جد مهمة في المشروع الاستعماري الإسباني بمنطقة الريف، نظرا لموقعها المتميز وسط كنفدرالية قلعية من ناحية ومن ناحية أخرى قبيلة بني بويجي وأولاد ستوت،

فبادرة الإدارة الاستعمارية إلى وضع بعض البنيات والتجهيزات الأساسية، بإنشاء محطة للقطار بسلوان بدءا من سنة 1911 ومثلت نقطة وصل بين الناظور وجبل العروي. ومن أجل تدريس أبناء الموظفين الإسبان بالمراكز التي كان يستقر بها عدد مهم منهم إضافة إلى أبناء الأعيان، بادرة إسبانيا إلى توفير المؤسسات التعليمية بهذه المراكز "فإلى حدود سنة 1916، أنشأت الحماية الإسبانية بالمغرب الخليفي مدارس إسبانية بأحد عشر منطقة مختلفة: العرائش وأصيلة وتطوان والقصر الكبير والحد بني شكار، وجبل العروي والناظور والمضيق وسلوان وواد مرتين وجامع الطلبة"⁽⁴⁴⁾، وإنشاء إسبانيا لمدرسة بسلوان دليل آخر على الأهمية التي احتلتها سلوان لديها، وكذا على حجم الإسبان القاطنين بها من موظفين وعمال ومتعاونين معهم.

وبدون شك فإن التوفر على هذه المنشآت سيؤدي إلى ظهور نواة مركز حضري بسلوان، الذي سيصبح من أهم المراكز في إقليم كرط خلال فترة ما بعد 1926، متفوقا في ذلك على مراكز أخرى مثل قرية أكمان، وزايوا، وجبل العروي، كما هو واضح من خلال الجدول التالي:

حجم الساكنة ببعض المراكز الحضرية خلال سنة 1940⁽⁴⁵⁾

المركز الحضري	مجموع السكان	الإسبان	المغاربة المسلمون	المغاربة اليهود
الناظور	8826	5978	2367	457
ازغنغان	975	773	117	66
سلوان	557	398	156	3
زايوا	365	222	33	110
جبل العروي	501	319	148	26

يتضح لنا انطلاقا من هذا الجدول ارتفاع عدد سكان سلوان مقارنة مع باقي المراكز ، فلم يتفوق عليه سوى الناظور وأزغنغان، كما يتضح أيضا حجم الإسبان القاطنين بها، حيث بلغوا 398 من أصل 557 من مجموع السكان، أي أنهم مثلوا حوالي 71% من مجموع ساكنة سلوان، وهو ما يفسر إقدام الإدارة الإسبانية على إنشاء مدرسة بهذا المركز.

خلاصة

كان لسلوان وقلعتها إسهام كبير في تاريخ الريف والمغرب بشكل عام منذ تأسيسها، ولعبت أدوارا متعددة اختلفت من مرحلة إلى أخرى حسب ظروف ومميزات كل مرحلة، لكن يبقى الدور العسكري هو البارز أكثر من باقي الأدوار الأخرى، خاصة في بداية القرن العشرين حينما كانت تمثل عاصمة الثائر الجليلي الزرهوني، وتستمر هذه الأهمية بعد ذلك في فترة مقاومة الشريف محمد أمزيان وأيضا خلال مرحلة الحماية الإسبانية، لذلك منحت إسبانيا أهمية بالغة لسلوان في سياستها التوسعية، لموقعها الجغرافي وكذلك لاستغلال قلعتها الحصينة، إلا أن هذه القلعة والمنطقة ككل ستأثر بهذه الأحداث، كما أثرت هي الأخرى في مجرياتها، وهو ما سيترتب عنه بداية تشكل نواة حضرية مع نهاية فترة الحماية الإسبانية.

1- تبعد سلوان عن مدينة الناظور بحوالي 15 كيلومتر أسست من قبل المولى اسماعيل في سنة 1678م إلى جانب قلعة أخرى بعيون سيدي ملوك، من أجل مراقبة تحرك قبائل بني يزناسن الموالي للأتراك بالجزائر هؤلاء الذين كانت لهم أطماع في المغرب.

2- الزرهوني: هو الجليلي الزرهوني ينتهي إلى قبائل كانت مستقرة بالقرب من مولاي إدريس زرهون، تنعته كتب التاريخ والرسائل السلطانية بعدد من الألقاب المشينة منها على سبيل المثال لا الحصر: بوحمارة، الروكي، الفتان، الثائر، الدعي، الغاصب، المارق، ...

3 - عبد الرحمان ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. ج 1، ط 1، الرباط، 1929. ص 401.402

4- العربي اللوه: المنهال في كفاح أبطال الشمال، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1982، ص 23
5- نفسه، ص 43

6 - إبراهيم كريدية: ثورة بوحمارة: 1902-1909، مطبعة S.I.E K، الدار البيضاء، ص 40

7 - أحمد سكيرج: الظل الوريث في محاربة الريف، تحقيق رشيد اليشوتي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2010، ص 91

Gabriel Morales : Datos para la historia de Melilla. Tip. El Telegrama del Rif. Melilla 1909, pp -8
388-389

أورده رشيد اليشوتي: إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان 1909-1912. منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 2011، ص 61

- 9- نفسه، ص 62
- 10- محمد الصغير الخلوئي: بوحامرة من الجهاد إلى التآمر: المغرب الشرقي والريف من 1900 إلى 1909م. دار المعرفة، الرباط، 1993. ص 35
- 11- العربي الوريثي: الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان. مطبعة المهديّة، الطبعة الأولى، تطوان 1976. ص 61
- 12 - إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان، م. س. ص 61
- 13- القبائل التي كانت تحت طاعة بوحامرة هي: تمسمان، بني توزين، تفرسيت، بنو اولشيك، بنو سعيد، امطالصة، بنو بويحي، أولاد ستوت، كبدانة، ثم اخماس قلعية: بنو سيدال، بنوبويفرور، بنو بوغافر، بنوشيكار، مزوجة.
- 14- الكشف والبيان، م. س. ص 66.
- 15- نفسه، ص 79
- 16- الكشف والبيان، م. س، ص 79.82
- 17- نفسه، ص 85
- 18- نفسه، ص 85-86
- 19-المنهال في كفاح أبطال الشمال، م. س . ص 37
- 20- الكشف والبيان، م. س، ص 89
- 21- إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان، م. س. ص 70
- 22- نفسه. ص 356
- 23- هي المنطقة المعروفة حاليا بالجزيرة والفاصلة بين بحيرة مارتشيك والساحل المتوسطي.
- 24- إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان، م. س. ص 98
- 25- حسن الفكيكي: الشريف محمد أمزيان شهيد الوعي، شهيد الوعي الوطني (1908-1912). مطبعة ربا نيت، الرباط، 2008. ص 194
- 26- نفسه، ص 181-182
- 27- محرس عين برحال يقع جنوب قصبة سلوان على بعد 4 كيلومترات منها، وهو يوجد بالقرب من الموقع الحالي لكلية الناظور. الشريف محمد أمزيان، م. س. ص 194
- 28- الشريف محمد أمزيان، م. س. ص 193
- 29- بوحامرة من الجهاد إلى التآمر، م. س. ص 45
- 30- الشريف محمد أمزيان، م. س، ص 200

- 31- كدية عروات وكانت تعرف بالاسم المحلي "تاعرورت ن ينسي" واسم عروات محول من اللفظ الأمازيغي المفرد تاعرورت، واقتبسه الإسبان وحولوه إلى جبل العروي Monte Arruit. الشريف محمد أمزيان، م. س، ص 359
- 32- إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان، م. س، ص 342
- 33- فرناند يثموليرو: كان هو المهندس المسؤول عن الطائرات بمطار سلوان.
- 34- خوان باندو: التاريخ السري لحرب الريف (المغرب.. الحلم المزعج)، ترجمة سناء الشعيري. منشورات الزمن، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2008. ص 293
- 35- نفسه، ص 292
- 36- التاريخ السري لحرب الريف، م. س، ص 306
- 37- ماريا روسا ذي مادارياكا: محمد بن عبد الكريم الخطابي والكفاح من اجل الاستقلال، ترجمة وتقديم: محمد أونيا، عبد المجيد عزوزي، عبد الحميد الرايس. منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 2012. ص 223
- 38- نفسه، ص 223
- 39- نفسه، ص 222
- 40- التاريخ السري لحرب الريف، م. س. ص 378
- 41- نفسه. ص 294
- 42- أرشيف مؤسسة انطونيو ماورا: المجموعة 442/9، نقلا عن: التاريخ السري لحرب الريف، م. س، ص 319
- 43- ماريا روسا دي مادارياغا: مغاربة في خدمة فرانكو، ترجمة: كنزة الغالي. منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006. ص 37
- 44- خالد بويقران: الاستعمار الإسباني بالمنطقة الخليفية: بين اليات التدخل ومخطط الهيمنة 1912-1956. مطبعة الرباط نت، 2015. ص 124
- Mimoun aziza : la sociedad rifeña frente al protectorado español de marruecos [1912-45 19156]; Edicion sbellaterra; barcelona; 2003. P207